بعض قواعد القدر من خلال شرح ابن أبي العز على متن الطحاوية

محمد المعتز الكامل محمد أحمد [١]

محمد السيد الشريف [٢]

المستخلص:

هذه الدراسة بعنوان : بعض قواعد القدر من خلال شرح ابن أبي العز على متن الطحاوية.تتناول هذه الدراسة مسألة في غاية الأهمية، وهي: مسألة تقعيد بعض مسائل العقيدة المتعلقة بالقدر، فرغم أن العلماء تناولوا مسائل العقيدة ، وشرحوها في شكل نصوص لكن لم يتطرق أحد – حسب علمي – لجمع قواعد العقيدة في مؤلف، كما هو الشأن في بقية العلوم الأخرى، ولما كان الإيمان بالقدر من الأهمية بمكان، وقد كثر فيه الخوض والجدل قديما وحديثا، بين مصرح به ومضمر له؛ هدفت الدراسة لحل الجوانب المشكلة فيه من خلال تقعيد أهم قواعده ، ولما كان شرح ابن أبي العز الحنفي على متن العقيدة الطحاوية من أميز الشروح، وأثراها مادة علمية؛ رأيت أن أذكر تلك القواعد منه، سالكا في ذلك المنهج الاستقرائي الوصفي، ويكون ذلك إشارة إلى أهمية جمع قواعد العقيدة في مؤلف يجمع متفرقها ويهذبه، فبينت الدراسة أهم القواعد التي لا يتم الإيمان بالقدر– الذي هو أحد أركان الإيمان– إلا بها، وشرحت تلك القواعد، وقدمت الأدلة عليها، وتضمنت الردَّ على المخالفين لتلك القواعد، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن كل شيء مقدر من الله تعالى، وأن الأساس الذي يرتكز عليه الإيمان بالقدر هو إثبات علم الله المحيط بكل شيء وشموله لذلك في طرفي الأزل والأبد وأنه شامل للكليات، والجزئيات، وإثبات قدرته التامة الشاملة لكل شيء، كما توصلت الدراسة إلى أن الذين أنكروا التقدير السابق ؛ إنما قرروا ذلك بناء على إنكار هاتين الصفتين العظيمتين، ومن النتائج ثبوت عموم مشيئة الله، ونفوذها في كل شيء، ومنها أن إثبات مشيئته لا يتعارض مع إثبات مشيئة خلقه لكنها تابعة لمشيئته، ومنها دخول أفعال العباد ضمن مخلوقاته وقدرته سبحانه عليها، وأن ذلك لا يتنافى مع كونها كسبا لهم وأنهم الفاعلون لها حقيقة .

ABSTRACT

This study is entitled : Some rules of predestination through interpretation of Ibn AbuAliz in the contents of Tahawia e dogma. This study addressed a very important issue, namely, the issue of confirming some matters of faith regarding predestination, although scholars discussed matters of faith and interpreted them in the form of texts, but no one- as far as I know- did collect the rules in one book, as is the case in the rest of the other sciences, and as belief in predestination, is very important, and led to many a controversies in past and present, either fully expressed or implied. The study aimed to solve some aspects of this issue, through confirming the most important aspects of its rules, and as the interpretation of Ibn AbuAliz al Hanafi in the contents of Tahawia dogma, is one of the best interpretations for its scientific richness, therefore I wanted to mention those rules, adopting descriptive inductive methodology, as an indication to the importance of collecting rules of belief in one volume. The study relied on the most important rules of faith-as it is one of the main pillars of faith- I explained those rules, providing the evidence and answered violators. The most important findings of the study, are: that to believe

١- المملكة العربية السعودية- مكة المكرمة-بريد الكتروني: tropanimprod@yahoo.com

٢- معهد العلوم والبحوث الإسلامية- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- هاتف: ٠٩١٨٥٢٢٥١٤

that everything is predestined by God, is the basis upon which lies the sense of faith, to prove that God knows everything, and knows the whole world, since ever and forever, including universalities and molecules, and to prove the fully inclusive power of God in knowing everything. The study also found that those who denies this, also deny God's attributes, in the sense that the general will of God and calls to prove His will, does not conflict with the will of his creation, because the will of creatures, belongs to the will of God and acts of man, are actions of creatures of God, however, the actions of man are real actions.

الكلمات المفتاحية: علم الله– المشيئة– أفعال العباد

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة موضوعا مهما يهم كل مسلم وهو "أهم قواعد الإيمان بالقدر" فبينت الدراسة معنى القاعدة، والقدر لغة واصطلاحا، كما بينت مجمل اعتقاد السلف في القدر وأنهم يثبتون الإيمان بالقدر على النحو الذي وردت به النصوص كما وضحت أن التقدير المطابق للعلم يتضمن أموراً عظيمة منها:كونه سبحانه وتعالى عالما بالأمور المقدرة قبل كونها، ومنها: أن تقديره يتضمن مقادير المخلوقات، وصفاتها المعينة المختصة، ومنها : أنه يتضمن إخباره بذلك– وإظهاره له قبل وجود المخلوقات – إخباراً مفصلاً، ومنها: أنه مختار لما يفعله محدث له بمشيئته، كما وضحت الدراسة القواعد التي يرتكز عليها الإيمان بالقدر، وهي: "كل شيء مقدر من الله " و"أصل القدر علم الله، وقدرته "و "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن" و"خلق الله لأفعال العباد" وشرحت تلك القواعد، وقدمت الأدلة عليها من الكتاب و السنة كما تعرضت لشُبَه المخالفين لتلك القواعد، وذكرت الرد عليها.

وشملت الدراسة خاتمة البحث ثم قائمة للمصادر، والمراجع.

تعريف القاعدة لغة:

القاف والعين والدال أصل مطرد منقاس لا يختلف، وهو يضاهي الجلوس وإن كان يتكلم به في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوسف هي تعطي معنى ما يرتكز عليه، فالقاعدة: أصل الأس، والقواعد: الأساس، وقواعد البيت: أساسه، قال تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1]، فتكون القاعدة في اللغة تعطي معانيَ تدور حول ما يقعد عليه الشيء أي يستقر ويثبت[2].

تعريف القاعدة اصطلاحا:

تطلق القاعدة على قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها، وتأتي بمعنى الضابط، وهي تأخذ من المعنى اللغوي أن الجزئيات تستقر على هذه القاعدة الكلية، ولذا فلا غرو أن نجد أن بعض كتب اللغة قد نصت على التعريف الاصطلاحي في أثناء التعريفات اللغوية[3].

تعريف القدر لغة:

القدر لغة: بسكون الدال وفتحها القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [4] أي الحكم، أو التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى، وقدر الله عليه ذلك: بفتح الدال مخففة ومشددة كتبه عليه، والقدرة: بفتح القاف وسكون الدال، والقدرة: بضم القاف وسكون الدال والمقدار: القوة.

---

[1] سورة النحل، الآية(٢٦).

[2] ابن فارس، أحمد بن فارس(د.ت) معجم مقاييس اللغة،ج٥، دار الفكر، بيروت، ص١٠٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤ هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ص٣٦١. الفيومي، أحمد بن محمد (د.ت) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، ص٥١٠.

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، ج١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص١٧١. قلعجي، محمد رواس (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م)، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٥٤. الحموي، أحمد بن محمد مكي،(١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، ط١،، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٥١.

[4] سورة القدر، الآية (١).

وقدر عليه الشيء: بفتح القاف والدال ضيقه، وقدرت الشيء بفتح القاف والدال مشددة ومخففة من التقدير.

والتقدير يأتي على معان أحدها: التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته. والثاني: تقديره بعلامات يقطعه عليها، والثالث: أن تنوي أمرا بعقدك تقول قدرت أمر كذا وكذا أي نويته وعقدت عليه[٥].

تعريف القدر في الاصطلاح:

والقدر في الاصطلاح: " ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه – عز وجل – قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[٦].

وقال ابن حجر في تعريفه: " المراد أنّ الله – تعالى – علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته "[٧].

وهذان التعريفان متقاربان فيما بينهما، وهما يفيدان أن القدر يشمل أمرين:

الأول: علم الله الأزلي الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجده، وحدد صفات المخلوقات التي يريد إيجادها، وقد كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ بكلماته، فالأرض والسماء أحجامهما وأبعادهما وطريقة تكوينهما وما بينهما وما فيهما كل ذلك مدون علمه في اللوح المحفوظ تدويناً دقيقاً وافياً[٨].

والثاني: إيجاد ما قدر الله إيجاده على النحو الذي سبق علمه وجرى به قلمه، فيأتي الواقع المشهود مطابقاً للعلم السابق المكتوب.

والقدر يطلق ويراد به التقدير السابق لما في علم الله، ويطلق ويراد ما خلقه وأوجده على النحو الذي علمه[٩].

والقدر، الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولا عظيمة[١٠]:

أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.

الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدرا، قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[١١] فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدرا، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافا لمن أنكر ذلك[١٢] وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات! فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

---

[٥] ابن منظور، لسان العرب ، مرجع سابق، ص٧٤ ،٧٦،٧٥،٧٧.

[٦] الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله، (١٤٢٥ هـــ– ٢٠٠٥م) القضاء والقدر، ط٣، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ص ٢.

[٧] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٣٧٩هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ج١، دار المعرفة، بيروت، ص١١٨.

[٨] الأشقر ، القضاء والقدر، مرجع سابق، ص ٢٢.

[٩] المرجع السابق، ص ٢٢ .

[١٠] ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج : ناصر الدين الألباني، ط١، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ص ٢٧٤.

[١١] سورة الفرقان، الآية ٢.

[١٢] أنكر ذلك الفلاسفة كما ذكر الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة أن القول بإنكار علم الله للجزئيات هو اختيار ابن سينا ورد عليهم،

الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارا مفصلا، فيقضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علما مفصلا، فيكون ذلك دالا بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم فإنه إن كان يعلم عباده بذلك فكيف لا يعلمه هو؟!

الرابع: أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازما لذاته.

الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه.

تعريف القضاء لغة:

القضاء في اللغة يرجع إلى الفصل والقطع والحكم.

قال الأزهري: قَالَ أَبُو إِسْحَاق: معنى قُضي الْأَمر: أُتمَّ إهلاكُهم.

قَالَ: وَقضى فِي اللُّغَة على ضرُوب كلُّها تَرجع إِلَى معنى انْقِطَاع الشيءِ وتمامِه،وَمِنْه قَوْله جلّ وعزّ: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ (١٣) مَعْنَاهُ: ثمَّ حَتَم بذلك وأتمَّهوَ مِنْه الْأَمر، وَهُوَ قَوْله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (١٤)، مَعْنَاهُ:أَمر، لأنّه أَمرٌ قَاطع حَتْم"(١٥)

وقال أيضا: "قَالَ: وَقضى، أَي: حكم"(١٦).

وقال الجوهري: "قضى: القَضاءُ: الحكم"(١٧).

وقال ابن فارس:قَضِيَ) الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ (١٨) أَيْ أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ"(١٩).

قال الراغب الأصفهاني:"الْقَضَاءُ: فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا، وكلّ واحد منهما على وجهين: إلهيّ، وبشريّ"(٢٠)

وللعلماء قولان في التفرقة بين القضاء والقدر(٢١):

الأول: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وفق الأمر المقضي السابق.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: " قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدرجزيئات ذلك الحكم وتفاصيله "(٢٢). وقال في موضع آخر: " القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل "(٢٣) .

انظر: الغزالي، محمد بن محمد(د.ت) تهافت الفلاسفة المحقق: الدكتور سليمان دنيا، ط٦، دار المعارف، القاهرة مصر، ص٧٧.

(١٣) سورة الْأَنْعَام، الآية(٢).

(١٤) سورة الْإِسْرَاء، الآية(٢٣).

(١٥) الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، ج٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص١٦٩-١٧٠.

(١٦) المرجع السابق ، ص١٧٠.

(١٧) الجوهري اسماعيل بن حماد(١٩٨٢م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٦، بيروت، دار العلم للملايين، بيروت، ص٢٤٦٣.

(١٨) سورة فصلت، الآية (١٢).

(١٩) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢٠) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٤١٢ هـ) المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ص٦٧٤.

(٢١) الأشقر، القضاء والقدر، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٢٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص٤٧٧.

(٢٣) المرجع السابق، ج ١١، ص١٤٩.

الثاني: عكس القول السابق، فالقدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق.

وهذا هو قول الخطابي، فقد قال في معالم السنن: " القدر اسم لما صار مُقدَّراً عن فعل القادر، كالهدم والنشر والقبض: أسماء لما صدر من فِعل الهادم والناشر والقابض.

والقضاء في هذا معناه الخلق، كقوله تعالى: (فقضاهن سبع سماوات في يومين) [٢٤]، أي خلقهن "[٢٥].

ويؤكد هذا المعنى الراغب رحمه الله بقوله: "والقَضَاءُ من الله تعالى أخصّ من القدر، لأنه الفصل بين التّقدير، فالقدر هو التّقدير، والقضاء هو الفصل والقطع"[٢٦].

ويدل على صحة هذا القول نصوص كثيرة من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [٢٧] ، وقال: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [٢٨]، وقال: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [٢٩].

قال ابن الأثير : "وَمِنْهُا القَضاء المَقْرون بالقَدَر وَالْمُرَادُ بالقَدَر: التقْدير، وَبِالْقَضَاءِ: الخَلْق، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ أَيْ خَلَقَهُنَّ.

فالقَضاء والقَدَر أَمْرَانِ مُتَلازمان لَا يَنْفَك أحدُهما عَنِ الآخَر، لِأَنَّ أحدَهُما بمَنْزلة الْأَسَاسِ وَهُوَ القَدَر، والآخَرَ بِمَنْزِلَةِ البِناء وَهُوَ القَضاء، فَمَنْ رَامَ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا، فَقَدْ رَامَ هَدْمَ البِناء ونَقْضَه." [٣٠] .

مجمل الإيمان به عند السلف:

السلف – رحمهم الله – يؤمنون[٣١] بأن كل شيء بقضاء من الله وقدر سابق صغيرا أو كبيرا، حقيرا أو جليلا، خيرا أو شرا، حلوا أو مرا، طاعة أو معصية، والأدلة على ذلك بحمد الله ظاهرة وكثيرة منها قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٣٢] وقوله ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [٣٣] وقوله﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾[٣٤]، وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ

---

[٢٤] سورة فصلت، الآية (١٢).

[٢٥] الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم(١٩٣٢م) معالم السنن، ج٤، المطبعة العلمية، حلب، ص٣٢٢.

[٢٦] الراغب الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص ٦٧٥.

[٢٧] سورة مريم، الآية (٢١).

[٢٨] سورة مريم، الآية (٧١).

[٢٩] سورة البقرة، الآية (١١٧).

[٣٠] ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي،ج٤، المكتبة العلمية، بيروت، ص٧٨.

[٣١] ونقل مذهبهم غير واحد من أهل العلم كأبي القاسم اللالكائي نقله عن اعْتِقَادُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ والْأَوْزَاعِيِّ وابن عيينة و أحمد بن حنبل و ابن المديني وأبي ثور خالد بن إبراهيم الكلبي وغيرهم من أئمة السلف، و حكاه أيضا النووي و الحافظ ابن حجر، انظر اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، ج٣، دار طيبة، السعودية ، ص ٥٨٩-٥٩٠ وانظر النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (١٣٩٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢،ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص١٥٥ . وانظر العسقلاني ، أحمد بن علي، فتح الباري، ج١١، مرجع سابق، ص٤٧٨.

[٣٢] سورة القمر، الآية (٤٩) .

[٣٣] سورة الأحزاب، الآية (٣٨).

[٣٤] النساء، الآية (٤٧).

ٱللَّهِ ﴾[٣٥]، وقوله ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[٣٦] .

قال ابن أبي العز – رحمه الله تعالى – :" والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣٧]. وقال تعالى: وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾[٣٨] وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا.[٣٩]

ويقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لأحاديث القدر من صحيح مسلم: " وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها"[٤٠]

وقال في موضع آخر: " تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى "[٤١].

ويقول ابن حجر رحمه الله تعالى: " مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلَّها بتقدير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[٤٢].[٤٣]

ومن السنة حديث جبريل وفيه: "وتؤمن بالقدر خيره وشره "[٤٤] وحديث طاووس قال: "أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺيقولون كل شيء بقدر" قال: وسمعت عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – يقول: قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"[٤٥].

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدر له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل، فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل"[٤٦].

وحديث أبي هريرة أيضا قال: قال رسول ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن

---

[٣٥] سورة التغابن، الآية (١١).
[٣٦] سورة آل عمران، الآية (١٦٦).
[٣٧] سورة القمر، الآية (٤٩).
[٣٨] سورة الفرقان، الآية(٢).
[٣٩] ابن أبي العز، شرح الطحاوية ، مرجع سابق، ص ٢٤٩.
[٤٠] النووي، شرح النووي على مسلم ،ج١٦، ص١٩٦.
[٤١] انظر المرجع السابق ،ج١،ص١٥٥.

[٤٢] سورة الحجر، الآية (٢١).
[٤٣] العسقلاني، فتح الباري ج١١، مرجع سابق، ص٤٧٨.
[٤٤] أخرجه، مسلم بن الحجاج(د.ت) صحيح مسلم، ، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ج ١، حديث برقم(١) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٣٦.
[٤٥] أخرجه مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ج٤، حديث برقم (٢٦٥٥)، ص٢٠٤٥.
[٤٦] البخاري، محمد بن إسماعيل(١٤٢٢هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه" صحيح البخاري"، كتاب الأيمان والنذور ب الوفاء بالنذر، حديث برقم(٦٦٠٩) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ج٨ دار طوق النجاة، ص ١٢٥ . و مسلم ، صحيح مسلم، كتاب النذر باب النهي عن النذر و أنه لا يرد شيئا ٣ج ، ، حديث برقم (٥) ص١٢٦٠.

قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[٤٧].

فهذه الأدلة كافية في بيان المراد من إثبات الإيمان بالقدر وأن كل شيء بقضاء وقدر.

القاعدة الأولى : كل شيء مقدر من الله

شرح القاعدة :

معنى هذه القاعدة أن كل شيء من الأشياء تعلق به علمه سبحانه وتعالى منذ الأزل وجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، والله شاءه كونا و قدرا، ثم خلقه فالقدر نظام التوحيد، فمن وحدَّ الله وآمن بالقدر تمَّ توحيده، ومن وَحَّدَ الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه[٤٨]

أدلة القاعدة من القرآن الكريم والسنة النبوية:

من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٤٩] و وجه الدلالة من الآية أن الله سبحانه و تعالى أخبر بأن خلقه للمخلوقات مقدر قبل الخلق أَيْ مَا خَلَقْنَاهُ فَمَقْدُورٌ وَمَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، قَالَ الْحَسَنُ البصري –رحمه الله– : قَدَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ قَدَرَهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ[٥٠].

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: " جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٥١] والحديث صريح بإثبات القدر، وأنه عام في كل شئ، فكل ذلك مقدر في الأزل، معلوم لله مراد له.

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [٥٢] أَيْ: وَكَانَ أَمْرُهُ الَّذِي يقدِّره كَائِنًا لَا مَحَالَةَ، وَوَاقِعًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا مَعْدِلَ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ[٥٣] كَانَ قَضَاء الله قَضَاء كَائِنا[٥٤].

وقال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية : "وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا): إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمه في علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوابا لأهل طاعته، وعقابا لأهل معصيته، فلما ائتمر ذلك الأمر قدره، فلما قدره كتب وغاب عليه[٥٥]؛ فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم

---

[٤٧] أخرجه مسلم ، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج٤، حديث برقم(٢٦٦٤) ص٢٠٢٥.

[٤٨] أثر مروي عن ابن عباس عزاه إليه ابن تيمية ابن تيمية انظر، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٦هـ–١٩٩٥م) مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج١٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ص٣٣٠ وقد ضعفه الشيخ الألباني انظر تحقيقه لشرح الطحاوية، ص٢٥٠.

[٤٩] سورة القمر، آية (٤٩) .

[٥٠]البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م) معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط٤، ج٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ص٣٢٨.

[٥١] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب القدر ، باب كل شيء بقدر ج٤، حديث برقم(٢٦٥٦) ص٢٠٤٦.

[٥٢] سورة الأحزاب، الآية (٣٨).

[٥٣] ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢ ،ج٦، دار طيبة ، ص٤٢٧.

[٥٤] الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب(د.ت) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية ، لبنان، ص٣٥٤.

[٥٥] كذا في جامع البيان وقد راجعت طبعتين إحداهما بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر(٢٧٧/٢٠)، والأخرى بتحقيق عبد المحسن التركي (١٢٠/١٩)، ويحتمل أن معنى العبارة غاب عليه بمعنى غيبه فصار غيبا لا يطَّلع عليه أحد، والله تعالى أعلم.

وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم، وقرأ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ (٥٦))(٥٧).

قوله تعالى: ﴿...وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٤٧﴾ (٥٨) ووجه الدلالة أن: يقال لما كان الإيمان بالقدر يتضمن أربع مراتب وهي: مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة، ومرتبة المشيئة، ومرتبة الخلق(٥٩)، كما قال ابن القيم – رحمه الله – : " مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر أربع مراتب : المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة: مشيئته لها، والرابعة: خلقه لها"(٦٠) فلما كان الإيمان بالقدر يتضمن تلك المراتب، بيَّن الله في هذه الآية الكريمة أن ما قضاه الله من الأمور لابد أن يقع على وفق ما قدره سبحانه، قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة: "وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أي: كائنا كان لا محالة(٦١).

ومن السنة النبوية: حديث عمر بن الخطاب المعروف عند العلماء بحديث جبريل وفيه: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٦٢) ووجه الدلالة من الحديث حيث جعل النبي ﷺ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان وفي بعض الألفاظ للحديث :"تؤمن بالقدر كله"، فدل الحديث على أن من الإيمان بالله الإيمان بأن كل شيء مقدر من الله و أنه لا يتم الإيمان إلا بذلك، وقد تبرأ عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما – ممن قال إن الأمر أنف(٦٣) وألا قدر كما في صحيح مسلم(٦٤).

*حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو –رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَتَبَ اللَّهُ مقادير الْخَلَائق قبل أَن يخلق السَّمَوَات وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" قَالَ: "وَكَانَ عَرْشُهُ على المَاء"(٦٥). فدل هذا الحديث على إثبات القدر وذلك بدلالته على كتابة المقادير السابقة وهي أحد مراتب الإيمان بالقدر وبين الزمن الذي تمت فيه كتابة مقادير الخلائق وهو قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(٥٦) سورة الأعراف، الآية ٣٧.

(٥٧) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري "جامع البيان"، ج٢٠، هجر للطباعة والنشر، ص٢٧٦– ٢٧٧.

(٥٨) سورة النساء، الآية (٤٧).

(٥٩) العمراني، يحيى بن أبي الخير، (١٤١٩هـ–١٩٩٩م)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١،ج١، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص٤٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤١٤هـ) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، ط١، دار طيبة، الرياض، ص٩٠. الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، ط١،ج٣، دار ابن القيم، الدمام، ص٩٢٤ ، الأشقر ، عمر بن سليمان، القضاء و القدر، مرجع سابق، ص٢٦.

(٦٠) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٢٩.

(٦١) الطبري ، تفسير الطبري ، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٦٢) أخرجه مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ج١، حديث برقم(١) ص٣٦.

(٦٣) أي مستأنف لم يسبق به تقدير ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه.

(٦٤) أخرجه ، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ج١، حديث برقم(١) ص٣٦.

(٦٥) المرجع السابق، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ،ج٤، برقم(٢٦٥٣) ص٢٠٤٤.

حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – يقول: قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"[٦٦].

الكيس بفتح الكاف ضد العجز ومعناه الحذق في الأمور ويتناول أمور الدنيا والآخرة ومعناه أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته، وإنما جعلهما في الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله[٦٧].

وحديث طاووس – رحمه الله تعالى– قال: "أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺيقولون كل شيء بقدر"[٦٨].

فدل هذا الحديث على أن مذهب الصحابة في القدر هو اعتقادهم بأن كل شيء مقدر من الله، وأن الأمور تقع على وفق علمه ومشيئته وعلى وفق ما جرى به قلم القضاء.

من خالف هذه القاعدة العظيمة:

لا شك أن الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين وركن من أركان الإيمان تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ومع هذا فقد ظهر في أواخر عهد الصحابة أناس ينكرونه، وينفونه ويقولون: "لا قدر وأن الأمر أنف": أي مستأنف وأول من قال ذلك و نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن كان نصرانيا فأسلم، ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان[٦٩] عن معبد"[٧٠].

ومعبد هذا كان ينسب إلى الزهد، وهو الذي أظهر القول بنفي القدر، وخرج إلى المدينة وأفسد بها أناسا، وقد حذر منه الأئمة كطاووس والحسن وابن عون[٧١]، وقد قتله الحجاج صبرا مع ابن الأشعث، وقيل: إن عبد الملك بن مروان الذي صلبه ثم قتله سنة (٨٠)هـ [٧٢] وقد بلغ خبر إنكارهم للقدر عبد الله بن عمر كما في صحيح مسلم[٧٣] فتبرأ منهم .

---

[٦٦] المرجع السابق، كتاب القدر، ،باب كل شيء بقد،ج ٤، حديث برقم (٢٦٥٥) ص٢٠٤٥.

[٦٧] العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ص٤٧٨.

[٦٨] أخرجه مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، كتاب القدر، ،باب كل شيء بقدر،ج ٤، حديث برقم (٢٦٥٥) ص٢٠٤٥.

[٦٩] انظر ترجمته في ابن حجر، أحمد بن علي (١٣٩٠هـ – ١٩٧١م)، لسان الميزان، المحقق: دائرة المعرف النظامية، الهند، ط٢، ج٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ص٤٢٤.

[٧٠] الآجُرِّيُّ، محمد بن الحسين بن (١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م) الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، ج٢، دار الوطن، الرياض، السعودية، برقم(٢٠٦)، ص٥٧٠، واللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ،ج٤، برقم (١١٤٢) مرجع سابق، ص ٧٠٤ . و ابن كثير، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، (١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ج١٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ص٣٠٣.

[٧١] الآجري، الشريعة،ج٢، مرجع سابق، برقم(٤٥٢) ص٨٧٢.

[٧٢] ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص٣٠٣.

[٧٣] العمراني، ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، مرجع سابق، ص ٦٣.أخرج مسلم بسنده عن يحيى بن يعمر قال: 'كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ فقلت: أبا عبد الرحمن إنه ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه

وتتلخص عقيدة هذه الطائفة في :

- إنكارهم علم الله وكتابته لمقادير الخلائق.
- أو إنكارهم مشيئته وقدرته، وخلقه لأفعال العباد.

ولذا حصل الرد على هذه البدعة المخالفة لهذه القاعدة العظيمة بالقواعد الثلاث الآتية وهي: قاعدة " أصل القدر علم الله وقدرته"، وقاعدة "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"، وقاعدة "خلق الله لأفعال العباد". و كان الحامل لهم على إنكارهم القدر فيما زعموا تنزيه الله من أن ينسب له شر؛ وذلك لأنهم سوّوا بين فعل الله ومفعوله، وبين خلقه ومخلوقه، قال ابن تيمية رحمه الله:" وهذا الموضع اضطرب فيه الخائضون في القدر فقالت المعتزلة[٧٤] ونحوهم من النفاة: الكفر والفسوق والعصيان أفعال قبيحة والله منزه عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا تكون فعلا له".[٧٥] ومعنى هذا أن هذه الطائفة ترى أن الله إذا خلق فعل العبد ولا يكون ذلك إلا بعد علمه به سبحانه و تعالى، و العبد فَعَله بقدرته و إرادته كان الله هو الفاعل له و لذا قال في موضع آخر:" وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون إلا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول؛ فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسألة على الطائفتين وحاروا فيها"[٧٦].

والحق الذي عليه جمهور أهل السنة أن فعل الله غير مفعوله و خلقه غير مخلوقه، قال ابن تيمية رحمه الله :"وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا فيقولون: هذه مخلوقة لله مفعولة لله ليست هي نفس فعله، وأما العبد فهي فعله القائم به، وهي أيضا مفعولة له إذا أريد بالفعل المفعول؛ فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين الفعل والمفعول إذاً قال إنها فعل الله تعالى " و قال في موضع آخر :" وأما من قال: خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال: إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات، ولم يقل: إنها نفس فعل الرب وخلقه بل قال: إنها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة؛ فإنه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له كما يفعلها العبد وتقوم به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره، كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح"؛ ولأجل هذه التسوية وذلك التنزيه المزعوم نفوا التقدير السابق وغلاتهم ينفون علم الله السابق بالأمور ورويت عنهم في هذا أقوال شنيعة فيها تكذيب لله ولرسوله في أن الله علم الأشياء وكتبها قبل خلقها[٧٧].

وقد خشى الرسول ﷺعلى أمته هذا الضلال الذي وقعت فيه هذه الفرقة، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عساكر عن أبي محجن وابن عبد البر في "الجامع " أن

ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺفذكر حديث جبريل.

(٧٤) سلك أئمة المعتزلة المؤسسين لمذهب الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي في القول بنفي القدر، وهي المرحلة الأولى من مرحلتي نفي القدروهو: إنكار العلم السابق وكان على هذا معبد الجهني وبعض القدرية،والمرحلة الثانية هي الرجوع عن إنكار العلم السابق والقول بإنكار المشيئة وخلق الأعمال وعموم القدرة.انظر الملل والنحل (٤٧/١)، وانظر الانتصار (١٢٦/،١٢٧) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٢٨/٨)،والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٦٤).

(٧٥) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٧٦) انظر المرجع السابق ،ج٨ ، ص١٢٢-١٢٣.

(٧٧) انظر المرجع السابق ، ج ٨، ص٥٩.

رسول الله ﷺ قال: " أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر "[٧٨].

وسمى الرسول ﷺ هذا الفريق بمجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يقولون بوجود خالقين اثنين: النور والظلمة، وأصحاب هذا القول يقولون بوجود خَالِقين، بل يزعمون أن كلَّ واحد خالق من دون الله، وقد أمر الرسول ﷺ بهجران هذا الفريق، فلا يزارون ولا يعادون، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده بإسناد حسن عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال:" لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم "[٧٩]

القاعدة الثانية: أصل القدر علم الله وقدرته.

شرح القاعدة:

أي أن الإيمان بالقدر مبني على اعتقاد أن الله متصف بصفتي العلم، والقدرة، فيجب الإيمان بأن الله متصف بصفة العلم، وهي من صفات الكمال المطلق، وأن علمه سبحانه محيط بكل شيء في طرفي الأزل، والأبد، وأنه علم لم يسبق بجهل ولا يلحقه زوال أو نسيان، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، و ما لم يكن أن لو كان كيف يكون، وهذا العلم محيط بكل شيء إجمالا وتفصيلا، كما يجب الإيمان بأن له قدرة تامة على كل شيء من الممكنات وأنه سبحانه لا يعجزه شيء في السماوات، ولا في الأرض، سبحانه وتعالى، وكل ما أراد فعله سبحانه فإنه قادر عليه إجمالا و تفصيلا.

ووجه ارتباط هاتين الصفتين بالقدر بحيث تكونان أصله هو أن القدر هو علم الله السابق بالأشياء المقدر وقوعها، أو كونها، أو عدمه، ثم وقوع هذه الأشياء على وفق العلم السابق، وذلك منوط بالقدرة وهذا أساس هذا الإيمان حيث أن من أنكر إحدى هاتين الصفتين أو كلتيهما فإنه لم يؤمن بالقدر؛ ولهذا قال الإمام الشافعي :"ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا"[٨٠]، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن القدر: فقال:"القدر قدرة الله "[٨١] فما قدره الله وعلمه منذ الأزل فلابد أن يقع على وفق علمه ولا يكون ذلك إلا بقدرته سبحانه، ومشيئته، فالقدر يدل بوضعه – كما يقول الراغب الأصفهاني فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني– على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم[٨٢].

فلله تعالى القدرة المطلقة، وقدرته لا يعجزها شيء، ومن أسمائه – تبارك وتعالى – القادر والقدير والمقتدر، والقدرة صفة من صفاته، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر، و"القدير" فعيل منه، وهو للمبالغة، ومعنى "القدير" الفاعل لما يشاء، على قدر ما تقتضيه الحكمة لا زائداً

---

[٧٨] ابن بَطَّة العكبري، عبيد الله بن محمد(د.ت) الإبانة الكبرى لابن بطة، المحقق: رضا، معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، ج٤، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ، برقم(١٥٣٣) ص١١٣. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م) جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ط١، ج٢، برقم (١٤٨٢) دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ص٧٣٥. و صحح الألباني، الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج١، برقم (٢١٤) المكتب الإسلامي، ص١٠٣.

[٧٩] الشيباني، أحمد بن محمد، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م) مسند أحمد بن حنبل، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، ط١،ج٢، برقم(٥٥٨٤) عالم الكتب، بيروت ، ص٨٦، و حسنه الألباني انظر الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين صحيح الجامع الصغير وزيادته ج ٢، ص٩١٧ ، برقم (٥١٦٣).

[٨٠] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ص٣٤٩.

[٨١] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، ط١، ج٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٢٥٤.

[٨٢] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ص٤٧٧.

عليه، ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[٨٣].و"المقتدر" مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ من"قدير" ومنه قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[٨٤] ؛ ولذا فإن الذين يكذبون بالقدر لا يثبتون قدرة الله تعالى[٨٥]، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى:"مَنْ لم يقل بقول السلف فإنه لا يُثبِت لله قدرة، ولا يثبته قادراً كالجهمية ومن اتبعهم، والمعتزلة المجبرة والنافية: حقيقة قولهم أنه ليس قادراً، وليس له الملك، فإن المُلك إما أن يكون هو القدرة، أو المقدور، أو كلاهما، وعلى كل تقدير فلا بدَّ من القدرة، فمن لم يثبت له قدرة حقيقية لم يثبت له ملكاً"[٨٦].

فالإيمان بالقدر على درجتين وكل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى تتضمن مرتبة العلم والكتابة، فتتضمن الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا، وأبدا، وعلم بجميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل.[٨٧]

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات، والأرض، من حركة، ولا سكون، إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، من الموجودات، والمعدومات، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة.[٨٨]

أدلة القاعدة من القرآن الكريم والسنة النبوية:

أدلة اتصافه سبحانه وتعالى العلم :

من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾[٨٩]، وقوله جل ذكره: ﴿... وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[٩٠] كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[٩١] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[٩٢].

فدلت الآيات الكريمات على شمول علمه لكل شيء، وأن علمه المتعلق بما في السماء والأرض مكتوب في كتاب وهو اللوح المحفوظ، وشملت الآيات علمه السابق بالأشياء التي خلقها، والتي سيخلقها، وهذا من أركان الإيمان بالقدر بل مبناه على إثبات هذا العلم له.

الأدلة من السنة على اتصافه سبحانه و تعالى بصفة العلم:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال:"مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي

---

[٨٣] سورة الأحقاف، الآية (٣٣).

[٨٤] سورة القمر، الآية (٥٥) .

[٨٥] الأشقر، القضاء والقدر، مرجع سابق، ص ١٣.

[٨٦] ابن تيمية ، مجوع الفتاوى، مرجع سابق، ص٣٠.

[٨٧] المرجع السابق ،ج٣، ص١٤٨.

[٨٨] المرجع السابق ص١٤٩.

[٨٩] سورة الأنفال، الآية(٧٥).

[٩٠] سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

[٩١] سورة الأنعام، الآية (٥٩).

[٩٢] سورة الحج، الآية (٧٠).

أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"[٩٣].

حديث أبي هريرة ﷺ قال:"سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"[٩٤].

وعلى هذا فإن الله عز وجل علم أهل الجنة وأهل النار وخلقهم وهو عالم بما يصيرون إليه، وهم سيصيرون إلى علمه بهم جل وعلا يؤكد هذا ويوضحه حديث عمران بن الحصينﷺ قال: "قال رجل: "يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار قال: "نعم" قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: "كل ميسر لما خلق له"[٩٥].

الأدلة من القرآن الكريم على اتصافه سبحانه و تعالى بالقدرة: منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٣ ﴾[٩٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥ ﴾[٩٧].

ووجه الدلالة على اتصافه سبحانه بصفة القدرة مما مضى ذكره من الآيات ومن مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾[٩٨] فذو القوة أي القوة العظيمة التي لا تضاهي، ولا تقاس بقوة خلقة مهما بلغت قوتهم، فهو–تعالى– على كل شيء قدير، لا يمتنع عليه شيء و"الْمَتِينُ" أي الشديد القوة، الذي لا يطرأ عليه عجز أو ضعف، تعالى وتقدس، وهذا المروي عن ابن عباس كما ذكره الطبري[٩٩] وحيث سمى الله تعالى نفسه بـــ"القدير" و"المقتدر" وكما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة من أن أسماء الله الحسنى كلها متضمنة لصفات الكمال المشتق منها ذلك الاسم وليست هي أعلام محضة كما يقول المعتزلة، فالقدير هو ذو القدرة والمقتدر ذو اقتدار وهكذا بقية الأسماء كلها تدل على صفات كمال مشتقة منها تلك الأسماء[١٠٠].

الأدلة من السنة على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة القدرة:

وهي أيضا كثيرة نذكر منها على سبيل المثال حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في الاستخارة قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن يقول:"إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب..." الحديث.[١٠١] ووجه الدلالة من الحديث حيث أثبت ﷺ قدرة سأله الإقدار بها على الفعل أو الترك و المقصود بالقدرة هنا القدرة المقارنة للفعل المصححة له وهي تدل على أن الله خالق فعل العبد بقدرته سبحانه وتعالى .

من خالف هذه القاعدة :

---

[٩٣] البخاري ،الجامع المسند الصحيح ،ج٩، برقم (٧٣٧٩)، ص١١٤.

[٩٤] المرجع السابق، كتاب القدر، باب ما قيل في أولاد المشركين،ج٢، ص١٠٠، برقم (١٣٨٤) ، مسلم ، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ج٤، برقم (٢٦) ص٢٠٤٩.

[٩٥] مسلم، صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج٤، برقم(٢٦٤٩) ص٢٠٤١.

[٩٦] سورة الأحقاف، الآية (٣٣).

[٩٧] سورة القمر، الآية (٥٥) .

[٩٨] سورة الذاريات، الآية (٥٨).

[٩٩] الطبري ، تفسير الطبري "جامع البيان"، ج٢٢ ، ص٤٤٨.

[١٠٠] الغنيمان، عبد الله بن محمد (١٤٠٥هـ) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ط١، ج١، مكتبة الدار، المدينة المنورة ، ص٩٢.

[١٠١] البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (قل هو القادر) ج ٩، برقم(٧٣٩٠) مرجع سابق، ص ١١٨ .

قد ذكر فيما سبق أن القدرية النفاة الذين ينكرون التقدير السابق قد بنى غلاتهم قولهم ذلك على نفي علم الله وبناه متأخروهم على إنكار المشيئة والقدرة قال ابن تيمية رحمه الله :"وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، فإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه؛ بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن...وهذه الدرجة من القدر، يكذب بها عامة القدرية، الذين سماهم النبي ﷺ: مجوس هذه الأمة".

وقال في موضع آخر:"وفي الحقيقة أنه من لم يقل بقول السلف، فإنه لا يثبت لله قدرة، ولا يثبته قادرا، فالجهمية، ومن اتبعهم، والمعتزلة والقدرية المجبرة والنافية: حقيقة قولهم: إنه ليس قادرا، وليس له الملك، فإن الملك إما أن يكون هو القدرة، أو المقدور، أو كلاهما وعلى كل تقدير فلا بد من القدرة، فمن لم يثبت له القدرة حقيقة لم يثبت له ملكا، كما لا يثبتون له حمدا"[١٠٢].

وما سبق تقريره من الأدلة على اتصافه سبحانه وتعالى بصفتي العلم، و القدرة، الذين هما أساس الإيمان بالقدر فيه رد على هذه الفرقة الضالة، وبالله التوفيق.

القاعدة الثالثة: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

شرح القاعدة: معنى هذه القاعدة هو الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد، فكل صلاح، وخير، وطاعة، وإيمان وقع في هذه الحياة إنما وقع بمشيئته جل وعلا، ولو شاء لم يقع، وكل فساد، وانحراف، ومعصية، وكفر وقع في هذه الحياة إنما وقع بمشيئة الله عز وجل، ولو شاء لم يقع.

الأدلة من القرآن الكريم:

منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [١٠٣] ووجه الدلالة من الآية إخباره سبحانه وتعالى عن عموم مشيئته، ونفوذها، وأن مشيئته تغلب مشيئة العبد، وحيث حذف متعلق المشيئة دل على العموم أي ما تشاءون شيئا من الأشياء، والنكرة في سياق النفي تعم كما هو مقرر عند الأصوليين.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[١٠٤]، ووجه الدلالة أن يقال مثل ما قيل في الدليل السابق، وهو إخباره سبحانه وتعالى عن شمول غلبة مشيئته لمشيئة العبد، وأن الذي يقع هو ما شاءه الله، لا ما شاءه العبد.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ [١٠٥]، ووجه الدلالة من الآية هو أن ما يقع من خير، وصلاح، في هذا الكون ومن ذلك إنزال الكتاب المجيد على نبيه محمد ﷺوتلاوته عليهم إنما وقع بمشيئته عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [١٠٨]،

---

[١٠٢] ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق، ص٣٠.

[١٠٣] سورة الإنسان، آية (٣٠).

[١٠٤] سورة التكوير، الآية (١٩).

[١٠٥] سورة يونس، الآية (١٦).

[١٠٦] سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

[١٠٧] سورة الأنعام، الآية (١١٢).

[١٠٨] سورة الأنعام، الآية (١٤٩).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [١٠٩]، ووجه الدلالة من هذه الآيات أن ما وقع في الكون من فساد، وانحراف، ومعصية، وكفر، إنما وقع بمشيئة الله عز وجل، ولو شاء لم يقع، ففي الآية الأولى اقتضت حكمته وقوع الاقتتال من بعد إرسال الرسل، و لو شاء عدم وقوعه لما وقع، وفي الآية الثانية اقتضت حكمته سبحانه جعل شياطين الإنس و الجن أعداء للأنبياء يوحون إلى أوليائهم، ولو شاء الله ما فعلوه وما وقع، وفي الآية الثالثة اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن ينقسم العباد إلى مؤمنين، وكافرين، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولكن لم يشأ ذلك فلم يقع، وفي الآية الرابعة أخبر سبحانه أنه لم يشأ إيتاء كل نفس هداها؛ لحكمة بالغة اقتضت ذلك، و لو شاء ذلك لوقع.

الأدلة من السنة على عموم مشيئته ، ونفوذها :

الأدلة من السنة على نفوذ مشيئة الله كثيرة فمنها:

حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "اشفعوا فلتؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء"[١١٠]، فدل هذا الحديث على أن ما يقضيه الله على لسان نبيه هو ما شاءه سبحانه وتعالى.

وفي قصة نوم النبي ﷺ وأصحابه في الوادي قال ﷺ "إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء"[١١١] ففي الحديث دلالة واضحة على أن الله يفعل ما يشاء، ففي الوقت الذي شاء فيه قبض أرواحهم قبضها، وفي الوقت الذي شاء فيه أن يردها ردها فيه.

ومنها حديث أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان"[١١٢]، ففي قوله :"قل قدر الله وما شاء فعل" دلالة على أن الله يفعل ما يشاء، سبحانه وتعالى وإن خالف ذلك مراد العبد.

من خالف هذه القاعدة :

خالف هذه القاعدة القدرية النفاة، فأثبتوا للعبد مشيئة مستقلة؛ وذلك فرارا من نسبة الشرور والفساد والكفر إلى الله، واستدلوا بالآيات التي يخبر الله فيها بأنه لا يحب الفساد و أنه لا يأمر بالفحشاء وأنه لا يحب الكافرين وما ذكروه من الآيات حق؛ لكنه لا يدل على أن الله لم يشأه، وأما الجبرية وهم القدرية المبثتة فإنهم غلوا في إثبات هذا الأصل وهذه القاعدة حتى جحدوا مشيئة العبد، وإرادته.

ومنشأ ضلال الفرقتين –النفاة، والمثبتة– من التسوية بين محبة الله و مشيئته، فقالت القدرية النفاة: مشيئته هي محبته، والله لا يحب المعاصي إذن لم يشأها .

وقالت القدرية المثبتة: مشيئته هي محبته والله شاء المعاصي إذن يحبها.

وهدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ففرقوا بين مشيئة الله و محبته فقد يشاء الله الشيء وهو لا يحبه و قد يحبه ولا يشاؤه وقد يشاء ما يحب وكل ذلك لحكم عظيمة باهرة منه سبحانه و تعالى.

قال ابن تيمية:" وأما الدرجة الثانية: فهي:

---

[١٠٩] سورة السجدة، الآية (١٣).

[١١٠] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب تعالون المؤمنين بعضهم بعضا، ج٨ ، برقم (٦٠٢٦) مرجع سابق، ص١٢.

[١١١] المرجع السابق، كتاب التوحيد، باب و ما تشاءون إلا أن يشاء الله ، ج٩، ص١٣٩،برقم (٥٩٥).

[١١٢] أخرجه، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب القدر– باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج٤، برقم(٢٦٦٤) ص٢٠٢٥.

مشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن...وهذه الدرجة من القدر، يكذب بها عامة "القدرية"، الذين سماهم النبي ﷺ: مجوس هذه الأمة"[١١٣]، وما سبق تقريره في هذه القاعدة من الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على عموم مشيئته و شمولها فيه رد على كلا الفرقتين المنكرة لهذه القاعدة المتينة والأصل العظيم والغالية فيه حتى نفت مشيئة العبد أصلا.

القاعدة الرابعة: أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وبها صاروا مطيعين وعصاة.

شرح القاعدة:

ومما يجب أن يعلم أن الله خالق كل شيء، فكل شيء من المخلوقات خلقه الله عز وجل، ومن هذه المخلوقات أفعال العباد، ولا ينافي خلقه سبحانه و تعالى لأفعالهم أن يوصف العباد بها، و أن تضاف إليهم كسبا، وفعلا، وقياما، فمعنى هذه القاعدة: أن أفعال العباد من جهة الخلق مضافة وتعالى، ومن جهة الكسب مضافة إلى العباد، ولا تنافي في ذلك، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الطحاوي بقوله:" وأفعال العباد خلق الله و كسب من العباد"[١١٤]، فالله سبحانه وتعالى خلق فعل العبد بتوسط قدرته وإرادته، فخروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القدرة.كما خلق النبات بالماء، وكما خلق الغيث بالسحاب، وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب[١١٥]، والأدلة من الكتاب و السنة، وهي على ضربين: أدلة عامة، وأدلة خاصة؛ فأفعال العباد تدخل في ضمن المخلوقات، فمن الأدلة العامة على خلقه سبحانه تعالى لأفعال العباد مايلي:

الأدلة من القرآن الكريم:

منها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [١١٦]، ومعنى الآية أن الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم" كل".

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢ ﴾[١١٧] ففي الآية دلالة على أن الله خلق كل شيء فدخل في ذلك العباد صفاتهم، وأفعالهم.

ومن الأدلة الخاصة على خلقه سبحانه، وتعالى لأفعال العباد :

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [١١٨] ووجه الدلالة من الآية، حيث أخبر سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام أنه خلق قومه، وخلق عملهم، والمراد به هنا نحت الأصنام، وما يصدر من ذلك، وذلك بناء على أن "ما" في الآية الكريمة موصولة، ولا يقال: إن"ما" مصدرية، أي خلقكم وعملكم، إذ سياق الآية يأباه؛ لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتا إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقا لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقا لله

---

[١١٣] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(د.ت) العقيدة الواسطية، د.ن، ص١٠٨.

[١١٤] ابن أبي العز، شرح الطحاوية الطحاوية، مرجع سابق، ص(٤٣٧).

[١١٥] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص ٣٨٩ ، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٢٦هـ) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المحقق: مجموعة من المحققين، ط١،ج٦، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ص٥٦٩.

[١١٦] سورة الزمر، الآية (٦٢).

[١١٧] سورة الفرقان، الآية(٢).

[١١٨] سورة الصافات الآية (٩٦).

تعالى لم يكن المنحوت مخلوقا له، بل الخشب أو الحجر لا غير[١١٩].

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [١٢٠] فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهم فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيآتها[١٢١].

الأدلة من السنة على أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى :

منها حديث حذيفةﷺ قال: قال ﷺ:"إن الله يصنع كل صانع وصنعته "قال البخاري رحمه الله وتلا بعضهم عند ذلك[١٢٢] قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [١٢٣] ففي هذا الحديث دلالة صريحة على أن أفعال العباد مما خلق الله سبحانه، وتعالى فقد أخبرﷺ أن الصناعات وأهلها مخلوقة لله، و يقوي ذلك استدلال بعض السلف الذي نقله البخاري رحمه الله تعالى بالآية المذكورة.

وحديث جابر بن عبد الله في الاستخارة، وقد سبق ذكره[١٢٤]، وفيه قال: كان ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك..." فقوله ﷺ"إذا هم أحدكم بالأمر" صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بإرادة العبد، وإذا علم ذلك فقوله "أستقدرك بقدرتك"، أي أسألك أن تقدرني على فعله بقدرتك، ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التي هي سلامة الأعضاء وصحة البنية، وإنما سأل القدرة التي توجب الفعل، فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له[١٢٥].

بعض آثار الصحابة في كون أفعال العباد مخلوقة لله :

أثر حذيفة ﷺ:"إن الله خلق كل صانع، و صنعته، إن الله خلق صانع الخزم[١٢٦]، و صنعته"[١٢٧]، وفيه أن العباد، وصناعاتهم، وأفعالهم مخلوقة لله سبحانه وتعالى.

أثر ابن عباسﷺ:"العجز والكيس من القدر"[١٢٨]، والأثر والأثر يدل على أن كل شيء بتقدير الله، ومن ذلك العجز، وهو ضد القدرة، والكيس وهو الحذق في الأمور، ويتناول أمور الدنيا والآخرة فإذا كان العجز والكيس مقدرين، والتقدير كما سبق يشمل علمه سبحانه و تعالى بالأمور قبل وقوعها و كتابة ذلك في اللوح

---

[١١٩] ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين، شرح الطحاوية ، ص(٤٣٩).

[١٢٠] سورة النحل، الآية (٨١).

[١٢١] ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل، مرجع سابق، ص ٥٤.

[١٢٢] البخاري، محمد بن إسماعيل ، خلق أفعال العباد، مرجع سابق، جـــ١، ص٤٦، و الحديث صححه الحافظ ابن حجر، انظر العسقلاني ، أحمد بن علي، فتح الباري، جـــ١٣، ص٤٩٨.

[١٢٣] سورة الصافات، الآية (٩٦).

[١٢٤] انظر تخريجه ، ص ١٢.

[١٢٥] ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مرجع سابق، ص ١١٠.

[١٢٦] قال ابن الاثير :"الخزم بالتحريك شجر يتخذ من لحائه الحبال الواحدة خزمة و بالمدينة سوق يقال له سوق الخزامين يريد أن الله يخلق الصناعات و صانعها كقوله تعالى (و الله خلقكم وما تعملون) ويريد بصانع الخزم صانع ما يتخذ من الخزم". ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الأثر، جـــ٢ ، مرجع سابق، ص٣٠.

[١٢٧] البخاري، محمد بن إسماعيل(د.ت) خلق أفعال العباد،المحقق: د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض، ص٤٦، و الأثر أيضا صححه الحافظ ابن حجر ، انظر ابن حجر، فتح الباري، جـــ ١٣، ص٥٣٠.

[١٢٨] البخاري، خلق أفعال العباد، ص ٤٦ ، و الأثر رجاله كلهم رجال الصحيح و قد مر بلفظ قريب من ذلك مرفوعا انظر ص٤.

المحفوظ و مشيئته لذلك و خلقها؛ فيدل ذلك على أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى.

وقد أسند البخاري عن طاووس مثل قول ابن عباس عن جماعة من الصحابة [١٢٩].

كما نقل بإسناده إلى يحيى بن سعيد القطان رحمه الله أنه قال: "مازلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة" قال أبو عبد الله[١٣٠] : "حركاتهم، و أصواتهم، واكتسابهم، وكتابتهم مخلوقة"[١٣١].

الدلالة من حيث النظر على خلق الله لأفعال العباد:

هو أن يقال :إن فعل العبد ناشئ عن أمرين :عزيمة صادقة، و قدرة تامة، و كلاهما مخلوقتان لله عز وجل، وهو الذي أودع فيه العزيمة الصادقة، والقدرة التامة، وخالق السبب التام خالق للمسبب.

ووجه ثان أن يقال :الفعل وصف الفاعل، والوصف تابع للموصوف، فكما أن الإنسان بذاته مخلوق لله، فأفعاله مخلوقة له؛ لأن الصفة تابعة للموصوف[١٣٢].

ومما ينبغي أن يعلم أن كون أعمال العباد مخلوقة لله لا ينافي كونها كسبا لهم، وهم فاعلون لها حقيقة، و الكسب أصله في اللغة: الجمع وهو طلب الرزق، يقال: كسبت شيئا، واكتسبته بمعنى، وكسبت أهلي خيرا وكسبت الرجل مالا فكسبه، وهذا مما جاء على فعلته ففعل، والكواسب الجوارح، وتكسب تكلف الكسب [١٣٣].

والكسب قد وقع في القرآن على ثلاثة أوجه[١٣٤] :

أحدها:عقد القلب، وعزمه، كقوله تعالى: :(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم) [١٣٥]، أي بما عزمتم عليه، وقصدتموه على ألا تبروا، فتعقيد الأيمان هو كسب القلب.

ثانيها: كسب المال من التجارة، قال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) [١٣٦]، فالأول للتجار، والثاني للزراع.

ثالثها: من الكسب السعي، والعمل، كقوله تعالى:(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[١٣٧]، فهذا كله للعمل؛ فإن الله خلق أعمال العباد بتوسط قدرتهم، وإرادتهم، كما أنبت النبات بتوسط الماء، والتربة، والهواء، وقد أثبت لهم مشيئة، فقال سبحانه:﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١٣٨] وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾ [١٣٩]، وقد أضاف الله الأفعال، والتروك إليهم، ووصفهم بها فالعباد هم المؤمنون، وهم الكافرون، وهم الأبرار، وهم الفجار،

---

[١٢٩] البخاري ، خلق أفعال العباد ، مرجع سابق، ص٤٧، و الأثر رجاله كلهم رجال الصحيح.

[١٣٠] هو الإمام البخاري محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح.

[١٣١] البخاري، خلق أفعال العباد، ص٤٧، والأثر أيضا صحيح فإن عبد الله بن سعيد الدارمي هو الإمام المعروف و يحيى هو بن سعيد القطان فهما إمامان جليلان مخرج لهما في الصحيح.

[١٣٢] ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤١٣ هـ) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الطبعة : الأخيرة، جـ٥، دار الوطن، دار الثريا، ص١٦٤.

[١٣٣] ابن منظور، لسان العرب جـ ١، ص٧١٦.

[١٣٤] ذكر الأوجه الثلاثة ابن القيم انظر ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل ص١٢٠.

[١٣٥] سورة البقرة، الآية (٢٢٥).

[١٣٦] سورة البقرة، الآية (٢٦٧).

[١٣٧] سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

[١٣٨] سورة التكوير، الآية (٢٨).

[١٣٩] سورة الإسراء، الآية (١٩).

وهم العصاة، وهم الطائعون، وهم المصلون، والصائمون، وغير ذلك، كما قال سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ (١٤٠) و الآيات في هذا الباب كثيرة.

من ضل من الفرق عن هذا الأصل:

ضل عن هذا الأصل العظيم وهذه القاعدة بعض الطوائف، واختلفوا في أفعال العباد الاختيارية، فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجازاً! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله! وقابلتهم المعتزلة(١٤١)، فقالوا:إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى، واختلفوا فيما بينهم:أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟!(١٤٢).

ومعنى قول الجبرية أن أفعال العباد كلها اضطرارية: أن العبد لا فعل له، فهم غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلا، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل، كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.(١٤٣).

وقد حرر ابن القيم رحمه الله تعالى قول الجبرية في نونيته أحسن تحرير حيث قال:

والعبد عندهم فليس بفاعل **بل فعله كتحرك الرجفان**
وهبوب ريح أو تحرك نائم ** وتحرك الأشجار للميلان
والله يصليه على ما ليس من أفعاله حر الحميم الآن**
لكن يعاقبه على أفعاله ** فيه تعالى الله ذو الإحسان(١٤٤)

أدلة الجبرية على جعلهم أفعال الله كلها اضطرارية :

استدلت الجبرية على هذا القول بما يلي:

- بقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾(١٤٥). فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد.

واستدلوا أيضا بقوله ﷺ :"لن يدخل أحد الجنة بعمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه، وفضل" (١٤٦) ووجه الدلالة أن الجزاء لم يرتب على العمل؛ لأن قيامه بالعمل لا حقيقة إنما مجاز.

---

(١٤٠) سورة المؤمنون، الآيات (١-٦).

(١٤١) ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(د.ت)الفصل في الملل و الأهواء والنحل، ج٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ص٣٢.

(١٤٢) ابن أبي العز، شرح الطحاوية ، مرجع سابق، ص ٤٣٧.

(١٤٣) انظر هرّاس، محمد بن خليل حسن (١٤١٥ هـ) شرح العقيدة الواسطية، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، ط٣، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ص٢٣٠.

(١٤٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٨.

(١٤٥) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(١٤٦) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ،ج٤، حديث رقم (٢٨١٦) مرجع سابق، ص٢١٧٠ .

- أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١٤٧] . فهو دليل عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رميا، بقوله: (إِذْ رَمَيْتَ) ، فعلم أن المثبت غير المنفي؛ وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء: فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رميا، فالمعنى حينئذ، والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت!! وفساد هذا ظاهر[١٤٨].

وأما استدلالهم بقوله ﷺ :"لن يدخل أحد الجنة بعمله"[١٤٩] فلا دلالة فيه على ما ذهبوا إليه فليس المراد عدم ترتب الثواب على العمل فإن ترتب الثواب على العمل ثابت في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[١٥٠] و قوله تعالى :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[١٥١]، وإنما المنفي جعل العمل عوضا للثواب، فالباء في الحديث هي "باء" العوض، أي أن العمل ليس عوضا للجنة، و ثمنا لها، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله!، بل ذلك برحمة الله وفضله.

والفرقة الثانية التي خالفت هذه القاعدة العظيمة، والأصل المتين، وهو خلق الله لأفعال العباد مع اتصافهم بها، واكتسابهم لها هي فرقة القدرية النفاة المعتزلة[١٥٢].

وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد، وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها استقلالا بدون مشيئة الله، ويزعمون: أنهم بهذا القول ينزهون الله عن الظلم، لأنه لو قدر المعاصي عليهم، ثم عذبهم عليها، لكان ظالما لهم، وللزم من إثبات قدرة الله على أفعالهم الجبر، الذي هو باطل بالشرع والعقل، كما تقدمت الإشارة إليه، ولكنهم بهذا القول الباطل ردوا نصوصا كثيرة من الكتاب، والسنة تثبت وتصرح أن جميع أعمال العباد من خير، وشر، وطاعة، ومعصية بقضاء الله وقدره [١٥٣].

وقد استدلوا على ما ذهبوا إليه من استقلال العباد بأفعالهم، و عدم خلق الله لها بما يلي:

بقوله تعالى:﴿ ...ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[١٥٤]، قالوا: قد أثبت الآية خالقين كثر، الله أحسنهم.

ويجاب عليهم بأن معنى الآية: أحسن المصورين المقدرين. و"الخلق" يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد

---

[١٤٧] سورة الأنفال، الآية (١٧).

[١٤٨] ابن أبي العز، شرح الطحاوية ، مرجع سابق، ص ٤٣٨.

[١٤٩] سبق تخريجه انظر نفس الصفحة.

[١٥٠] سورة التوبة، الآية (٨٢).

[١٥١] سورة السجدة، الآية (١٧).

[١٥٢] العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ج١، ص ٦٨.

[١٥٣] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، أضواء السلف، الرياض، ص ١٧.

[١٥٤] سورة المؤمنون، الآية (١٤).

هنا، بدليل قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [١٥٥] أي الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم "كل".

وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم: "كل"، الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقا! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم "كل"!! وهل يدخل في عموم "كل" إلا ما هو مخلوق؟! فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها.[١٥٦]

و استدلوا –أيضا– بقوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﴾ [١٥٧] ووجه الاستدلال: إن الله نفى التفاوت عن خلقه ؛ فلا يخلو: إما أن يكون المراد بالتفاوت من جهة الخلقة، أو من جهة الحكمة، ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة؛ لأن في خِلقة المخلوقات من التفاوت ما لا يخفى، فليس إلا أن المراد به التفاوت من جهة الحكمة، وإذا ثبت هذا لم يصح في أفعال العباد أن تكون من جهة الله تعالى لاشتمالها على التفاوت وغيره.[١٥٨]

ونوقش هذا الاستدلال بأن استدلالهم بالآية ناتج عن سوء فهم؛ وذلك لأن المقصود بالتفاوت في الآية التفاوت في الخلقة.

قال القرطبي رحمه الله :عند تفسير هذه الآية :"والمراد (بخلق الرحمن):السماوات، خاصة، أي: ما ترى في خلق السماوات من عيب، وأصله من الفوت وهو أن يفوت شيء شيئاً فيقع الخلل لقلة استوائها يدل عليه قول ابن عباس "من تفرق"[١٥٩].

ويقول ابن جزي: قوله من "تفاوت" أي: من قلة تناسب، وخروج عن الإتقان، والمعنى أن خلق السماوات في غاية الإتقان، وتخصيص الآية بخلق السماوات لورودها بعد قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾ [١٦٠] .

و إذا ثبت أن المقصود بالتفاوت في الآية، التفاوت من جهة الخلقة بطل قولهم :"ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة "؛ وعليه فيبطل الاستدلال بالآية الكريمة .

و أيضا:فأول الآية حجة عليهم، وهو قوله تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ ﴾ [١٦١].

وبهذا يتبين أن الله هدى المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة، ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية

---

[١٥٥] سورة الزمر، الآية (٦٢).

[١٥٦] ابن أبي العز، شرح الطحاوية ، مرجع سابق، ص٤٣٩.

[١٥٧] سورة الملك، الآية (٣).

[١٥٨] قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد(د.ت) شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه و قدمه الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، القاهرة، ص ٣٥٥.

[١٥٩] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (١٣٨٤هـ– ١٩٦٤ م) الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ج١٨، دار الكتب المصرية، ص ٢٠٨– ٢٠٩.

[١٦٠] سورة تبارك، الآية(٣). وانظر ابن جزي ، محمد بن أحمد، (١٤١٦هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط١، ج٤، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص٢٥٠.

[١٦١] سورة الملك، الآية (٢) ، انظر المعتق، عواد بن عبد الله، (١٤١٧) المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ص١٧١–١٧٢.

بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

وإذا ثبت كون العبد فاعلا، فأفعاله نوعان: نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له ولا يكون فعلا، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارنا لإيجاد قدرته، واختياره، فيوصف بكونه صفة، وفعلا، وكسبا للعبد، كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلا مختارا، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى ؛ فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان، والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

الخـــاتمة:

وصل الباحث إلى **النتائج** التالية:

- أن كل شيء مقدر من الله تعالى.
- أن السلف رحمهم الله أجمعين يؤمنون بأن كل شيء بقضاء من الله وقدر سبق، صغيرا أو كبيرا، حقيرا أو جليلا، خيرا أو شرا، حلوا أو مرا، طاعة أو معصية.
- أن أول من تكلم بنفي القدر: هو معبد الجهني، ثم تبعه غيلان الدمشقي، ثم انتشر بعد ذلك، و كان ذلك في أواخر عهد الصحابة، وقام الصحابة بالرد عليهم وإفحامهم.
- أن الأساس الذي يرتكز عليه الإيمان بالقدر، هو إثبات علم الله المحيط بكل شيء، وشموله لذلك في طرفي الأزل والأبد، وأنه شامل للكليات، والجزئيات .
- أن التقدير المطابق للعلم يتضمن أمورا عظيمة منها:

١. كونه سبحانه وتعالى عالما بالأمور المقدرة قبل كونها.
٢. ومنها أن تقديره يتضمن مقادير المخلوقات، وصفاتها المعينة المختصة.
٣. ومنها أنه يتضمن إخباره بذلك، وإظهاره له قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً.
٤. ومنها أنه مختار لما يفعله محدث له بمشيئته.

- إثبات قدرته التامة الشاملة لكل شيء.
- ارتباط القدر بصفتي العلم، و القدرة لله تعالى، وتلازمه بهما، وأنه لا يتم التكذيب بالقدر إلا بإنكارهما.
- أن الذين أنكروا التقدير السابق ؛ إنما قرروا ذلك، بناء على إنكار هاتين الصفتين العظيمتين.
- ثبوت عموم مشيئة الله، ونفوذها في كل شيء.
- أن إثبات مشيئته لا يتعارض مع إثبات مشيئة خلقه؛ لكنها تابعة لمشيئته.
- أن منشأ ضلال الفرق في إنكار مشيئة الله، أو الغلو في إثباتها، ومن ثَمَّ نفي مشيئة العبد حاصل من التسوية بين مشيئة الله، ومحبته.
- دخول أفعال العباد في ضمن مخلوقاته، وقدرته سبحانه عليها.
- أن دخول أفعال العباد في خلق الله لا يتنافى مع كونها كسبا لهم، وأنهم الفاعلون له حقيقة.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. ابن فارس، أحمد بن فارس(د.ت) معجم مقاييس اللغة،ج٥، دار الفكر، بيروت.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤ هـــ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.

٣. الفيومي، أحمد بن محمد (د.ت) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،ج٢، المكتبة العلمية، بيروت.
٤. الجرجاني، علي بن محمد بن علي (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، ج١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
٥. قلعجي، محمد رواس (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
٦. الحموي، أحمد بن محمد مكي،(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله، (١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥م) القضاء والقدر، ط٣، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن .
٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٣٧٩هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ج١، دار المعرفة، بيروت.
٩. ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج : ناصر الدين الألباني، ط١، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة .
١٠. الغزالي، محمد بن محمد(د.ت) تهافت الفلاسفة المحقق: الدكتور سليمان دنيا، ط٦، دار المعارف، القاهرة مصر.
١١. الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، ج٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢. الجوهري اسماعيل بن حماد(١٩٨٢م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٦، بيروت، دار العلم للملايين، بيروت.
١٣. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٤١٢ هـ) المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت.
١٤. الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم(١٩٣٢م) معالم السنن، ج٤، المطبعة العلمية، حلب.
١٥. ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي،ج٤، المكتبة العلمية، بيروت.
١٦. اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، ج٣، دار طيبة، السعودية .
١٧. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (١٣٩٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢،ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٨. مسلم بن الحجاج(د.ت) صحيح مسلم، ج ١، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل(١٤٢٢هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه" صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ج٨ دار طوق النجاة.
٢٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن

قاسم، ج١٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

٢١.البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م) معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط٤، ج٤، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٢.ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢ ،ج٦، دار طيبة.

٢٣.الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب(د.ت) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية ، لبنان.

٢٤.أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري "جامع البيان"، ج٢٠، هجر للطباعة والنشر.

٢٥.العمراني، يحيى بن أبي الخير، (١٤١٩هـ–١٩٩٩م)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١،ج١، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤١٤هـ) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، ط١، دار طيبة، الرياض.

٢٦.الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، ط١،ج٣، دار ابن القيم، الدمام.

٢٧.ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٨.ابن حجر، أحمد بن علي (١٣٩٠هـ –١٩٧١م)، لسان الميزان، المحقق: دائرة المعرف النظامية، الهند، ط٢، ج٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان.

٢٩.الآجُرِّيُّ، محمد بن الحسين بن (١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م) الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، ج٢، دار الوطن، الرياض، السعودية.

٣٠.و ابن كثير، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، (١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

٣١.ابن بَطَّة العكبري، عبيد الله بن محمد(د.ت) الإبانة الكبرى لابن بطة، المحقق: رضا، معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، ج٤، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض .

٣٢.ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م) جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ط١، ج٢، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية .

٣٣.الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج١، المكتب الإسلامي.

٣٤.الشيباني، أحمد بن محمد، (١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م) مسند أحمد بن حنبل، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، ط١،ج٢، عالم الكتب، بيروت .

٣٥.ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، ط١، ج٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٦.الغنيمان، عبد الله بن محمد (١٤٠٥هـ) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ط١، ج١، مكتبة الدار، المدينة المنورة .

٣٧.ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٢٦هـ) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المحقق: مجموعة من المحققين، ط١،ج٦، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

٣٨. البخاري، محمد بن إسماعيل(د.ت) خلق أفعال العباد،المحقق: د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.
٣٩. ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤١٣ هـ) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الطبعة : الأخيرة، جـ٥، دار الوطن، دار الثريا، ص١٦٤.
٤٠. ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(د.ت)الفصل في الملل و الأهواء والنحل، ج٣، مكتبة الخانجي، القاهرة .
٤١. هرّاس، محمد بن خليل حسن (١٤١٥ هـ) شرح العقيدة الواسطية، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، ط٣، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر.
٤٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٤٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، أضواء السلف، الرياض.
٤٤. قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد(د.ت) شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه و قدمه الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، القاهرة.
٤٥. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م) الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ج١٨، دار الكتب المصرية.
٤٦. ابن جزي ، محمد بن أحمد، (١٤١٦هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط١، ج٤، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
٤٧. المعتق، عواد بن عبد الله، (١٤١٧) المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض.